مدرس المادة: م. قحطان عدنان حميد

كلية الزراعة- جامعة البصرة

المحاضرة الأولى:

مقدمة :

كثير ما يتم الخلط بين مفهومي الحرية والديمقراطية لكون هذين المفهومين يشتركان في الكثير من المعاني إلا إن مفهوم الحرية أوسع بكثير من مفهوم الديمقراطية حيث ان الأول يتسع لجميع نواحي الحياة بينما الثاني يختص بما ينظم شؤون الحكم وإدارة أمور الشعب والمجتمع في هذه الدولة كما سنبين ذلك .

وبذلك يتبين لنا بان مفهوم الديمقراطية أضيق من مفهوم الحرية وما هو إلا جزء من الحرية ويمثل حرية الشعب في اختيار أموره المختلفة.

أولاً - الحرية :

من الصعب إيجاد تعريف محدد للحرية بالنظر الى تباين وجهات النظر في ذلك ويمكن القول بان الحرية من الناحية البايولوجية (هي فقدان الإرغام) ومن الناحية النفسية (هي القدرة على الاختيار بين عدة حلول) وحسب رأي الفيلسوف الألماني عمانؤيل (هي قانون العقل) وهي حسب رأي المفكر رفاعة الطهطاوي (إباحة العمل المباح من غير دون مانع غير مباح ولا معارض محظور) .

* والحرية كما جاءت في وثيقة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان هي حالة التحرر من القيود التي تكبل طاقات الإنسان وإنتاجه سواء كانت قيودا مادية أو قيودا معنوية فهي تشمل التخلص من العبودية لشخص ما لتنفيذ غرض ما او التخلص من الإجبار أو الفرض .

والحرية أيضا إحدى أهم قضايا الشعوب وهي من أهم الأوتار التي يعزف عليها السياسيون فالكل يطمح لاستقلال بلاده وان يكون شعبه حرا في اتخاذ القرارات لمصلحة الشعب او الجماعة او المجتمع الذي ينتمي إليه .

تتجه العديد من الفلسفات والأديان والمدارس الفكرية الى ان الحرية جزء من الفطرة البشرية فهناك صفة طبيعية عند الإنسان لعدم الرضوخ والخضوع وإصرار على احتلال زمام القرار لكن هذا التروع نحو الحرية قد يفقد عند الكثير من البشر نتيجة ظروف متعددة من

حالات قمع واضطهاد وظلم متواصل أو حالة النشوء في العبودية او حالة وجود معتقدات وأفكار متقيدة قد تكون فلسفية أو غيبية فبعض المدارس الفلسفية تعتبر الإنسان جزءا غير منفصل ولا مفارق عن الطبيعة ، بالتالي هو يخضع لجميع القوانين التي تصفها بالحتمية وهي ما يعرف بالحتمية (**Determinism**) بالمقابل توجد دائما توجهات ضمن معظم الأديان تعتبر الإنسان مجرد ريشة في مهب الريح لا يملك في قضية تقدير مصيره شيئاً وهذه التوجهات تظهر بوضوح عند بعض الفرق الإسلامية التي تصف بالجبرية وعند بعض الفرق الصوفية .

تبرز هنا دائما إشكالية فلسفية دينية في الجمع بين علم الخالق المطلق (حسب الاعتقادات الدينية) وحرية الاختيار الإنساني ، هذه القضية وان كانت دوما مكان جدال مستمر في المدارس الفلسفية المختلفة فان معظم التوجهات الدينية تنحوا الى مواقف وسطية تثبت العلم المطلق للخالق (وهو أمر لا مفر منه في أي عقيدة دينية) مع حرية اختيار الإنسان (وهو أمر لازم لإثبات مسؤولية الإنسان اتجاه أفعاله وهذا ما يبرر العقارب الأخروي في العقائد الدينية) .

والحرية حق من حقوق الإنسان بحافظ على البنية الداخلية للمجتمع عندما يكون وفق نظم لا تتجاوز أو تتعدى حرية الفرد على حرية الغير ولذلك أعطي قدسية لدى جميع الشعوب والمجتمعات والأديان والمواثيق الدولية ومما جاء في وثيقة هيئة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان : (ان جميع البشر مولودون أحرارا ومتساوين في الكرامة والحقوق ، وقد وهبوا العقل والضمير وعليهم ان يعلموا اتجاه بعضهم البعض بروح الإخوة) .

وكما نلاحظ ان في هذا النص تأكيد على ناحيتين مهمتين ترتبطان بالحرية حقا وواجبا وهما :

١- إنها تولد مع الإنسان ويولد معها التساوي في الكرامة .

٢- النص على ضرورة التعامل بين الناس بروح الإخوة كواجب لصيانة هذه الحرية وحفظها عن الفوضى بالتعدي على الآخرين .

والحرية في هذه اللائحة ذات شعب يخص بعضها حرية الدين والعقيدة وبعضها حرية الرأي والتفكير وحرية التعبير وحرية التنقل واختيار البلد وحرية العمل ولكل من هذه الشعب كلام طويل ومفصل حتى نصل الى رؤية متكاملة وشاملة عند الحرية وان كانت الحرية في المنظور الإسلامي أوسع من ذلك بكثير ولكنا نوكل بحث هذا الموضوع بمكانه بعد ان نتعرف على هذه الشعب ولو بشيء من الإيجاز حتى يمكننا التعالم معها ضمن حدودها

الصحيحة وضوابطها فهي ان خرجت عن إطارها العام ونظامها الخاص أصبحت فوضى وان قلت خرجت عنه وقيدت حتى صارت الى السلب أصبحت عبودية وفي كلا الحالتين تجرد الحرية عن معناها الحقيقي .

١- حرية الرأي والتفكير :

لعل قائل يقول ان حرية التفكير هي عملية داخلية طبيعية فيما الداعي الى ذكرها في مقابل حرية التعبير عن الرأي مع إنها لا تحتاج الى حماية خارجية بأمثال هذه اللائحة او غيرها وكان يمكن ان يكتفي بضمان الحرية للتعبير بمختلف ماله من الأساليب عن ذكرهما كحقلين مستقلين .

وما يقاتل عن الفكر يقال عن الرأي وعن الدين في الجانب او القسم النظري منه مهما يكن فماذا يراد من حرية التعبير عن الرأي .

يراد بالطبع حرية إبراز الفكرة او الرأي والعقيدة بمختلف أساليب الإبراز (أي الجانب العملي من الفكر) سواء المجتمعات العامة ام الخاصة وافقت الحكم القائم ام صادمته وهذا الجانب منها ربما يكون من اهم جوانبها على اختلافها فيه .

وقد كان في تاريخ الحركة الفكرية حديث طويل لا يخلو أكثره من شحون ، وقد كتبت أكثر سطوره بالدماء فاستحق بذلك عناية المؤرخين حيث سجلوا مختلف مراحله التطورية .

ففي العصور الوسطى (والتي كانت العصور المظلمة كما يسميها المؤرخين لدى الأوربيين والعصور الذهبية لدى المسلمين) ظهرت في الكنيسة الأوربية حركة إصلاح ديني كانت الممهدة للفكر العلماني حول قضية الحرية واتخذت هذه الحركة وجه اللبرالية فقد قام المفكر مارتن لوثر بالدعوة الى طبع الكتاب المقدس لجعله في متناول الأفراد بعد ان كان حكرا على القسيسين ورهبان الكنيسة وقام كذلك بترجمته الى اللغة اللاتينية الى مختلف اللغات الأوربية مما أدى الكنيسة الى إصدار الأوامر بقتله حتى تم ذلك ، ولكن قد ظهر خلال القرن السابع عشر والثامن عشر العديد من المفكرين الذين أنكروا ان يكون ما يحتويه الكتاب المقدس منزلا من الله (سبحانه وتعالى) لكنهم في الوقت ذاته لم ينكروا وجود الله (سبحانه وتعالى) وكان أبرزه الفيلسوف (جون لوك) .